

# أرجوزة السيد خليل البصير

- ١ -

نزاع الصفويين والعثمانيين

سعيد الدين يحيى

كان الصفويون (١) والعثمانيون (٢) يتنازعون سلطة العراق منذ القرن العاشر للهجرة ، وقعت بينهما حروب كثيرة ، ومن أشدها هي التي قام بها نادر شاه سنة ١١٥٦ هـ ، بعد ان استأثر بالملك .

ونادر شاه هذا من رجال عصره في السياسة والحرب ، وتعبئة الجيوش ، وأحكام المخطط الحربية . وأخضع أكثر البلاد المجاورة ليران .

(١) الدولة الصفوية : أسسها اسماعيل الصفوي سنة ٩٠٧ هـ ، ثم قضى عليها نادر شاه سنة ١١٤٤ هـ بعد ان عزل طبهاسب الثاني ، وتولى الحكم بنفسه ، وانتقل الحكم الى الأسرة الافشارية . معجم الأنساب والامرات الحاكمة في الفتح الاسلامي - زامباور - مصر سنة ١٩٦١م ( ١ : ٣٨٨-٣٨٩ ) .  
(٢) الدولة العثمانية : نسبة الى عثمان الاول بن ساجي بن ارطغرل . وهي من أعظم الدول الاسلامية التي قامت في القرون الوسطى ( ٦٩٩-١٢٣٨ هـ ) فبعد ان استولت على الانطول ، توسعت فتوحاتها في أكثر البلاد العربية ، وفي القسم الشرقي من اوربا . وقضى عليها مصطفى كمال أتاتورك سنة ١٣٢٨ هـ = ١٩٢٠م باعلان الجمهورية التركية .

مختصر تاريخ الدول الاسلامية - عمر رضا كحالة ، دمشق ١٩٥٨ ( ٢ : ٢٠٧ - ٢٤٠ ) .

وفي سنة ١١٥٦ هـ (١٧٤٣ م) توجه الى العراق ، ودانت له أكثر البلاد ، رهبة من جيوشه الجرارة ، الكثيرة العدد والعُدَد .

وبعد ان أخضع كركوك وأربل ، استمر بزحفه الى الموصل ، وفتك بالقرى التي مر بها في طريقه ، كما أرسل سراياه الى بعض أقضية الموصل ، فقتل الرجال وأسر النساء والأطفال ، وأحرق الزروع ، ونهب كل ما يستفاد منه أرسل رسلاً الى الموصل <sup>(١)</sup> ومعهم كتاب <sup>(٢)</sup> ، يتوعد به أهل البلد بالقتل والتدمير ، ويضرب لهم الأمثال بما فعله بالبلد التي وقفت بوجهه ، وينصحهم أن يفتحوا له أبواب البلد ، ويخرجوا إليه طائعين .

جمع والي الموصل « الحاج حسين باشا الجليلي <sup>(٣)</sup> » أهل المدينة ظاهر البلد ، قرب الجامع الأحمر <sup>(٤)</sup> — الجامع المجاهدي — وقرأ عليهم الكتاب ، وطلب اليهم أن يشيروا بما يرونه من الأمر .

وأهل الموصل ، أصحاب أنفة عربية ، معروفون بتكاتفهم في الدفاع عن كرامة بلدهم

---

(١) كان الوفد من قاضي كركوك حسن افندي الكركوكلي ، وهو الذي سلم كركوك لنادرشاه مع ابن بداغ ، وكان معه من أعيان كركوك محمد افندي ومصطفى اغا (ماجحة الموصل : ٢٨ ، منية الأدباء : ١٨٠) .

(٢) كان الكتاب من رؤس علماء ايران ملا باشي علي اكبر ، الى السيد يحيى افندي الفخري مفتي الموصل ، وكتب جوابه السيد يحيى افندي على لسان أهل البلد ، والكتابان منشوران في تاريخ الموصل للصائغ ( ١ : ٢٨٠ - ٢٨٨ ) نقلا عن منهل الاولياء .

(٣) أشهر الولاة الذين تولوا الموصل في القرن الثاني عشر للهجرة . تولاهما سنة ١١٤٣ هـ ثم تنقل في الولايات وأعيد إليها ثمانني مرآت وتوفي سنة ١١٧٤ هـ — وله مواقف جارية خاصة في ثباته أمام غزو نادرشاه . ( منية الادباء : ٨٣ ، ٨٤ ، ٢٧٠ - ٢٠٩ ) .

(٤) بناء مجاهد الدين قيباز الرومي ، باشر بعمارة سنة ٥٧٢ هـ . وانتهى منه سنة ٥٧٥ هـ ، وسمى في السنوات المتأخرة بالجامع الاحمر ، كما يسمى بجامع الحضرة ، لانتفاء العامة أن فيه مقاماً للخضر .

( جوامع الموصل في مختلف العصور ، سعيد الديوهجي — بغداد ١٩٦٣ . ( ص : ٥٠ - ٧٢ ) .

وعروبهم - ولذا فانهم أصرروا على الدفاع عن بلدهم ، ولو أدى هذا الى الموت ، وصاحوا  
صيحة رجل واحد : الحرب .. الحرب ..

سمع الرسل ما قاله أهل البلد ، كما ان الحاج حسين باشا الجليلي كتب جواباً لنادر شاه ،  
تحذره وينصحه من ان يتورط في التقدم الى أم الربيعين ، ويعلمه ان عدده وعدده  
لا تقوى أمام شجاعة أهلها ، وانهم قد عاهدوا الله على أن يموتوا في الدفاع عن بلدهم  
وعروبهم .

غضب نادر شاه واستمر بزحفه على البلد ، ونزل قرب قرية يارمجة<sup>(١)</sup> في ٢١ / رجب /  
١١٥٦ هـ = ١١ / ايلول / ١٧٤٣ . وأمر بنصب جسر على دجلة ، وتم نصبه بعد خمسة أيام .  
وفي غرة شعبان عبرت جيوشه على الجسر ، وأحاطت بالبلد ، وأخذ ينظم خطة الهجوم ،  
فنصب مدافعه على تلال أقاموها مقابل أبراج سور المدينة .

أما أهل البلد فانهم هبوا الى تعمیر ما انهدم من السور<sup>(٢)</sup> ، وحفروا الخندق ،  
واشتغل كل القادرين على العمل في تهيئة وسائل الدفاع ، من مدافع وبنادق وبارود وخناجر  
وسيوف ، ولوازم البناء والحفر ، وتموين المحاربين ، ونقلوا من القرى ما استطاعوا من  
الغلال ، وما تحتاجه الخيول من العلف ، وأحرقوا ما لم يتيسر لهم نقله .

واتخذ الحاج حسين باشا الجليلي قلعة باش طابية<sup>(٣)</sup> مقراً لأعماله ، يشرف منها على خطة  
الدفاع ، ويتولى مع أقاربه حراسة ما ينثلم من السور ، الى أن يتم بناءه ثانية .  
وخفت مدينة حلب لنصرة الموصل ، فجاء واليها حسين باشا القازوقجي<sup>(٤)</sup> مع جيش

(١) تقع في الجانب الشرقي من الموصل ، تبعد عنها جنوباً قرابة عشر كيلو مترات .

(٢) أنظر عن سور الموصل ( سومر : ٣ : ١١٧ - ١٢٨ ) .

(٣) قلعة باش طابية ، تقع شمال المدينة ، تشرف على دجلة ، والمنابع الكبرى عين كبريت ، كما تطل  
على السهل الشمالي الذي بظاهر الموصل ، وهي بقايا القلعة الاتابكية ، وفيها أكبر برج كان في سور الموصل .

أنظر ( سومر : ١٠ : ١٠٠ - ١٠٥ ) فيها بحث عن قلعة الموصل في مختلف العصور .

(٤) منية الادباء ( ص : ٢٤٩ ) .

من أبناء الشهباء ، ودخلوا المدينة قبل أن يشتد الحصار .

وفي ٦ / شعبان كان أهل المدينة قد ملؤوا السور بالرجال والمدافع والعتاد . وفي صباح هذا اليوم أخذ نادر شاه يحيط المدينة بوابل من القنابل ، ويقدر المؤرخون الذين شهدوا الواقعة أن عدد القنابل التي القيت على المدينة ، تزيد على خمسين ألف<sup>(١)</sup> . وكانت تزيد من حماس أهل البلد ، فصاروا يقدمون على الموت ، ويهجمون على كل من يتقدم الى السور .

استمر نادر شاه في ضرب المدينة الى منتصف شعبان ، والموصل صامدة أمام جيشه ، غير مبالية بما أحدثته القنابل من التخريب والتدمير .

عبر نادر شاه الى جهة الموصل ، وطاف حول البلد ، وتفقد المعركة بنفسه ، فهاله ما وجدته من بسالة أهل الموصل . وبطولتهم في الدفاع عن بلدهم العربي الأبي .

عزم نادر شاه على مهاجمة البلد من اضعف مواقعها ، فاختر خمسة آلاف مقاتل من جيشه ، وأعد الف سلم ، وحفر ثلاثة الغام في سور المدينة : أحدها شمال المدينة ، واثنتان مقابل مسجد الشيخ قضيف البان الموصل<sup>(٢)</sup> . وملاً الألغام بالبارود لكي ينسف السور ، ووضع قرب الألغام تبناً كثيراً - وهكذا تم له تدبير خطته .

وفي صباح يوم ١٥ / شعبان = ٥ / تشرين الأول كانت أقوى معركة بين جيشه وأهل

(١١) لم تنزل بقاياها كثيرة في الموصل . ونجدها في اكثر دور المدينة ، يتخذونها سنداً للباب اذا ما فتح . ولعل المواصلة احتفظوا بها في دورهم . لتذكروا بثباتهم وبسالتهم امام القنابل ، وصمودهم امام العدو ، حتى انقذوا بلدهم ودحروا عدوم .

(١٢) أبو عبد الله الحسين بن عيسى الموصل<sup>(٢)</sup> ( ٤٧١ - ٥٧٣ هـ ) مرقد ظاهر المدينة في الجهة الغربية منها . وفي سنة ١٣٧٧ هـ هدمته مديرية الاوقاف العامة ، ووسعته وبنته جامعاً يجمع به ، عرف بجامع قضيف البان .

( سحر : ٨ : ٩٩ - ١٠٦ ) ( جوامع الموصل في مختلف العصور سعيد الديوهجي ، بغداد سنة ١٩٦٣ ( ص : ٢٦٠ - ٢٦٩ ) .

الموصل . فانه أمر باشغال النار في الألغام وأحرق التبن ، وتقدم خمسة آلاف من جيشه مع السلام ليرتقوا الى السور ، وسط دخان التبن ، ويفتكوا بالجيش المدافع .

فاحترق أحد الألغام وعاد شره على جيشه ، ولم يحترق اللغمان الآخرا . ولما وصل جيشه السور ، وجدوا أهل البلد لهم بالمرصاد ، فجمعوا عليهم يقطعون رؤوسهم ويرمونها عليهم ، وبعد أن فتكوا بأصحاب السلام نزلوا من السور ، وطاردوا من سلم منهم ، ووصلوا في هجومهم إلى جيش نادرشاه ، والقوا الرعب والفرع في قلوبهم . وغنموا أشياء كثيرة ، وعادوا الى محلاتهم يجرون أذيال العزة والانتصار .

يئس نادرشاه من الموصل ، وصار يفكر في خطة التراجع عنها ، وأخذ يفاوض أهل الموصل بالصلح . فأرسل وفداً إلى الحاج حسين باشا<sup>(١)</sup> يعرض عليه الصلح ، ويشيد بموقف أهل البلد المشرف في الدفاع عن بلدهم العزيز ، فعرض الوالي هذا على أهل البلد ، فوافقوا بعد امتناع .

وفي / ٤ / رمضان / أخذ نادرشاه يقوض خيامه ، ويلم ما سلم من عتاده ، وعاد من حيث أتى ، تاركاً آلاف القتلى والجرحى من جيشه ، وبقيت عظامهم أكثر من سنة .

كان هذا الحادث من العوامل الكبيرة في تيقظ العرب ، وجعلهم يشعرون بقوتهم اذا ما تكاتفوا ، وايمانهم الصادق بعروبتهم التي يدافعون عنها . وترددت اصداؤه في البلاد العربية ، فنظم الشعراء القصائد والارجوزات منوهة ببطولة ام الربيعين ، وترنم المغنون بالأناشيد والأغاني الحماسية ، وكتب المؤرخون فصولاً طوالاً — لوجع هذا كله لكان صفحة رائعة من صفحات الوعي القومي التي يفخر بها أبناء العروبة<sup>(٢)</sup> ، ويحق لهم أن

(١) ملحة الموصل ( ص : ٢٤ ) .

(٢) جمعنا في كتاب منية الادباء ما عثرنا عليه من أخبار المعركة ، ونشرنا : ملحق رقم ( ١٤ ) ويقع من ( ص : ٢٢٣ — ٢٢٩ ) من الكتاب المذكور واعدنا طبع ارجوزة السيد فتح الله القادري ، بعد ان عثرنا على عدة نسخ منها . ونشرناها باسم ( ملحة الموصل ) طبعت ببغداد سنة ١٩٦٥ م .

يتخذوا يوم / ٤ / رمضان من كل سنة عيداً قومياً يذكرونهم ببطولتهم وصمودهم أمام العدو.  
ومن أجل ما قيل في وصف ثبات أهل الموصل وبطولتهم<sup>(١)</sup> :

ويوم لها الحدباء شاب وليدها      فتلقى بها الحبلي الجنين وتندب  
تنادي حسيناً والفوارس أسطر      وبالسور أقلام المدافع تكتب

— ٢ —

أما الأرجوزات والقصائد التي قيلت في هذا الحادث — فقد وقفنا منها على :

١ — السيد خليل البصير بن السيد علي . له ثلاث أرجوزات — سيأتي الكلام عنها :

٢ — أرجوزة السيد عبد الله بن نجر الدين<sup>(٢)</sup> — كاتب ديوان الانشاء في بغداد .

أرسلها من بغداد الى السيد خليل البصير ، جواباً على أرجوزته التي سننشرها .

٣ — أرجوزة السيد عبد الله السويدي المتوفى سنة ١١٧٤ هـ<sup>(٣)</sup> ، عارض بها أرجوزة

السيد خليل البصير ، وعدد أبياتها ١٦٨ بيتاً .

---

(١) للشيخ محمد بن مصطفى الفلامي المتوفى سنة ١١٦٨ هـ . وهو من شعراء عصره ، وصاحب (شمامة العنبر) .

وفي كتاب « العلم السامي في ترجمة الشيخ محمد الفلامي — للاستاذ محمد رؤوف العلامي ، بحث واسع عنه ، وترجم له كثيرون منهم صاحب منهل الاولياء ، وتاريخ الموصل ( ٢ : ١٧٦ — ١٧٨ ) .

(٢) من علماء الموصل العاملين ، اشتهر بالكتابة والشعر ، وله آثار جليلة تدل على علمه وفضله توفي سنة ١١٨٨ هـ .

(منهل الاولياء ، منهج الثقافة في تاريخ القضاة — ياسين بن خير الله الخطيب الغمري ، تاريخ الموصل : ٢ : ١٧٦ — ١٧٨ ) .

(٣) عبد الله بن حسين بن صرعي العباسي السويدي ، أخذ عن علماء الموصل وبغداد ، وتفوق في الفقه والجدل ، وأخذ عنه عدة علماء من الموصل وبغداد ، وله مؤلفات ومناظرات ولد سنة ١١٠٤ هـ .

المسك الاذفر في تراجم علماء بغداد في القرن الثاني عشر والثالث عشر ، السيد محمود شكري الالوسي — بغداد ١٣٤٨ هـ = ١٩٣٠ م ( ص : ٥٩ — ٦٤ ) .

٤ - قصيدة خليل خدادة المتوفي سنة ١١٦٣ هـ (١) . وصف بها دفاع اهل الموصل عن مدينتهم ، وينوه بموقف الحاج حسين باشا الجليلي والي الموصل . لم نقف على القصيدة ، وانما ذكر المرادي منها الأبيات التالية :

وذاك من يمن الوزير الذي	خصصه الله بلطف أعم
قام لنا في حسن تدبيره	وأرهب الخضم بأعلى الهمم
وجال في عسكريه جولة	فيل الركن له والمهدم
ورام منه الصلح عن أنفه	رغمًا ، ولم يدر الصواب الأتم
فقام عنا - وهو في غيظه -	يعض حرصاً لكفوف الندم
أبو مراد لم يزل واقفًا	عنا ، إذا الخطب علينا هجم
فياله من أسد قد حمى	غابته ، من كل خصم صدم

٥ - ارجوزة باللغة التركية لشاعر اسمه يونس عدد أبياتها ٢٩٩ بيتاً . ولم نقف على ذكر لهذا الشاعر .

٦ - ارجوزة السيد فتح الله القادري المتوفى سنة ١٢٠٤ وهي أطول الارجوزات التي وقفنا عليها ، كما نجد فيها وصفاً دقيقاً للحادث ، وكنا قد نشرناها في كتاب منية الأدباء ، ثم عثرنا على نسخ خطية اخرى ، فصححناها ، واعدنا نشرها باسم ملحمة الموصل ، وطبعناها في بغداد سنة ١٩٦٥ .

(١) كان شاعراً رقيق الشعر واشتهر بحسن الخط وجودة الكتابة ، وصار يضرب المثل بجودة خطه ، وله حواش ، سافر الى الهند وتوفى بها ، وله شعر ونثر ، ومن أصدقاء السيد خليل البصير - .  
( منهل الاولياء ، سلك الدرر - المرادي : ٢ : ١٠٥ - ١٠٦ ) .

## السيد خليل البصير

السيد خليل البصير (\*) بن السيد علي بن السيد اسماعيل بن السيد ابراهيم بن السيد داود بن السيد محمد الباهر شمس الدين - ومحمد الباهر هو أيضاً والد السيد نحر الدين جد اسرة آل الفخري . ويتصل معهم السيد خليل البصير في الجد الخامس :

وآل الفخري من الأسر العريقة في العلم والأدب ، ولهم منزلة رفيعة عند أهل الموصل قام منهم عدة فقهاء وعلماء وادباء ، خدموا الموصل أجلّ خدمة ، وتركوا آثاراً نفيسة تدل على علمهم وفضلهم .

وخليل البصير ، فقد بصره منذ صغره ، ولكنه كان ذا بصيرة وقادة فبعد أن حفظ

(\*) ام المصادر التي عولنا عليها في ترجمته :

- ١ — منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدياء محمد امين بن خير الله العمري المتوفى سنة ١٢٠٣ هـ . نسخة منقولة بالفوسفات عن نسخة المؤلف ، وهي في دار الكتب المصرية .
- ٢ — الروض النضر في تراجم ادباء العصر : عثمان الدقيري بن علي بن مراد العمري المتوفى سنة ١١٨٤ . نسخة منقولة بالفوسفات عن نسخة المجمع العلمي العراقي .
- ٣ — مجموعة سـمـد الله باشا الجليلي ( ١٢٧٥ - ١٢٧٢ هـ ) نسخة منها في خزانة الحاج امين بك الجليلي .
- ٤ — منهج الثقافة في تاريخ القضاة - لياسين بن خير الله الخطيب العمري ( ١١٥٧ - ١٢٣٢ هـ ) انتهى منه يوم الجمعة ٢٥ / جادى الآخرة ١٢١١ هـ نسخة منه في خزانة الحاج امين بك الجليلي .
- ٥ — مجموعة السيد محمد طاهر كتبها سنة ١٢٣٣ هـ وفيها قصائد وكتب مختلفة لشعراء وكتاب من آل الفخري ، وفيها الارجوزة التي سنشرها مع بعض الابيات والقصائد للسيد خليل البصير وهي محفوظة في خزانتنا .
- ٦ — منية الادباء في تاريخ الموصل الحدياء - لياسين بن خير الله الخطيب العمري حققه ونشره كاتب المقال « سعيد الديوهجي » طبع في الموصل سنة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ .
- ٧ — سلك الدور في اعيان القرن الثاني عشر . ابو الفضل محمد بن خليل المرادي .
- ٨ — شعراء بغداد وكتابتها في ايام وزارة المرحوم داود باشا والي بغداد في حدود سنة ١٢٠٠ - ١٢٤٦ هـ ، عبدالقادر افندي الخطيب الشهر اباني ، نشرة الاب انستاس ماري السكرلي بغداد سنة ١٩٣٦ .

القرآن الكريم ، اخذ يتردد الى علماء الموصل ، فيأخذ عنهم ، والموصل - اذ ذاك - من المدن التي تُشد الرحال الى مدارسها ومعاهدها المختلفة . كما كان يقصد مجالس الشعراء والأدباء ، ويستمع الى ما ينشد فيها من أشعار ، وما يدور فيها من مناظرات ومساجلات أدبية . فحفظ الشيء الكثير منها .

وكانت دارهم مجمع أهل الفضل والأدب ، وأهلها أقطاب هذه الندوات ، يقصدهم الناس للأخذ عنهم والاستفادة منهم .

والسيد خليل سريع الحفظ ، مرهف الحس ، فكان يحفظ الصحيفة الواحدة اذا سمعها مرة أو مرتين ، فحفظ كثيراً من الأشعار والقصائد ، ويذكر عنه المرادي أنه كان في الحفظ آية باهرة ، وكان يحفظ من الشعر ما لو كتب لكان أسفاراً .

وبرع في النحو والصرف والعلوم العقلية ، وقصده الطلاب للأخذ عنه ، والاستفادة من علمه .

وصار ينظم الشعر في اللغات الثلاث : العربية والفارسية والتركية ، واجمع الدين ترجموالة : أنه بديع صوغ النثر والنظم ، رائق القريض ، وله قصائد كثيرة .  
يمتاز شعره أنه : سلس الألفاظ ، واضح المعاني ، بسيط الاسلوب ، خالٍ من التكلف البغيض ، جميل القافية ، لا نجد فيه الألفاظ الوحشية التي كان يتمشدد بها أكثر شعراء عصره ، ولا المحسنات البديعية التي كان يتكلف لها شعراء ذلك العهد - ولو أذى بهم الى ضياع المعنى .

وشعره يتدفق من نفس صافية ، فيأضاه بالفضائل والمكارم ، لم تشغلها الدنيا الفانية فترفعت عن المدح والثناء المتكلف ، وانما كان يقول الشعر لنفسه يعبر عما تكنه من فضائل ، وما في قلبه لأصدقائه واوفياؤه من حب واخلاص ، فهو مرآة لنفسه الطاهرة المؤمنة . كثير الاقتباس من القرآن الكريم ، الذي حفظه ووعاه ورتله أجمل ترتيل .

ولشعره موسيقى ووقع في النفس ، لأنه صادر عن روح جيّاشة ، يهزها البيت الرائع ويحركها النغم الشجي ، وهو أحد قراء زمانه .

وقد وقفنا على قصائد ومقاطع له ، أكثرها في المراسلات مع أهله واصدقائه ، وفي شكوى الزمان ، ومداعبات الخلان ، ونجد فيها الأمثال والحكم ، وكثرة الاقتباس من كتاب الله عز وجل .

ومن جميل قوله معاتباً أصدقاءه ، ومضمناً قوله تعالى « لا يكادون يفقهون حديثاً » .

لست أهوى سواكم اليوم حتى أطلب الموت في هواكم حينئذ

يا لقومي من معشر عنفوني « لا يكادون يفقهون حديثاً »

وقوله مضمناً قوله تعالى « فذِلكُنَّ الذي لُمتُننِّي فيه » :

ونسوةٍ لمتني في حب ذي كحل رشا يفوح شميم المسك من فيه

فقلت منهن للأي فتن به : « فذلكن الذي لمتني فيه »

وقوله محذراً من الفتنة ، معتمداً على الله الكريم الذي يرى كل شيء ، ومضمناً قوله

تعالى « وكفى بربك هادياً ونصيراً » :

يا مبتلى بذوى المظالم لآتهن واصبر فان الله كان بصيراً

واستغفرن الله يهدك عاجلاً « وكفى بربك هادياً ونصيراً »

وقوله مضمناً قوله تعالى « إن كيد الشيطان كان ضعيفاً » :

قال لي أحذر رقيبنا فقصارى سؤله ان يكيدنا ويحيفنا

قلت دعني فلست منه أبالي « إن كيد الشيطان كان ضعيفاً »

وكانت بينه وبين صديقه خليل خُداداه مراسلات ومداعبات ، فبلغ خليل خُداداه

ان صديقه خليل البصير عتب عليه لتأخر أخباره ، فكتب اليه خليل خُداداه :

لا تحسبوا ان البعاد مكدّر صفو الخليل عن الخليل وانسه

لكن حوادث في الزمان تراكت

فالمرء فيها قد سهيا عن نفسه

فاجابه خليل البصير بقوله :

إنا نسلم أنه يسهو الفتى

في حادثات زماننا عن نفسه

لكن نقول بدفع شر عدونا

ذا اليوم خير عندنا من أمسه

وكتب اليه خليل خداده يداعبه ويعاتبه :

يا حافظاً دفع الظنون وناصباً

علم اليقين ، ومن يكون مشككا

من بعد ما قنط الورى من رحمته

انظر الى آثار رحمة ربكا

فاجابه البصير بقوله :

يا من يذكر خله

كرم الكريم ونعمته

هذا قديماً دأبه

يعفو وينشر رحمته

وشعره لا يخلو من تشطير وتخميس - ومن ذلك قوله مشطراً بيتي ابن نباتة :

« يا مشتكي الهم دعه وانتظر فرجاً »

تمن يفرج كربات المساكين

وأصبر على محن الايام ذا جلدٍ

« ودار وقتك من حين الى حين »

« ولا تعاندا اذا اصبحت في كدر »

عن النوائب واستقبله باللين

هيهات هيهات أن تصفو بلا كدرٍ

« فانما أنت من ماءٍ ومن طين »

وله مخمساً بيتي ابن الفارض :

نأي الغزال الذي في القلب موضعه

ياليت شعري أي الأرض مرتعه

ناديته بانكساري إذ أودعه

« ياراحلا وجميل الصبر يتبعه »

هل من سبيل الى لقياك يتفق

نار المحبة في الأحشاء حامية

والعين كالنهر طول الدهر هامية

يا من به رتبتي في العشق سامية

« ما انصفتك جفوني وهي دامية »

« ولا وفي لك قلبي وهو يحترق »

كان حسن التلاوة ، سليم الخيال ، أجزى في القراءات السبعة ، وتفق بها حتى لقبه  
محمد امين العمري بانه شاطبي زمانه .

وله اطلاع حسن في الموسيقى ، واذن مرهفة في سماع الاصوات الجميلة ، والانغام  
الشجية ، فكان يحضر حلقات الذكر ، ومجالس الطرب ويشارك فيها ، وله مدائح نبوية ،  
سلسلة النظم ، جميلة الألفاظ ، لم يزل بعضها يتلى في حفلات الموالد ، وحلقات الذكر ،  
منها قوله :

ياقرة العيون	ارحم	نحيمي
من ثغرك المصون	أطفي	لهبي
قلبي متى يكون	وصالك	نصيبي
لعلي باللقا	ابري	سقامي
الحب قد وفا	والشوق	داني
والطرف قد حوى	زين	المعاني
بالمصطفى البشير	اختم	نظامي
من شرف البقيع	خير	الانام
وصحبه والآل	ذوي	الاختام
يرجو سيد خليل	حسن	الختام

كان حاضر البديهة ، سريع الجواب ، ناقداً بصيراً بما يتلى أمامه « مهذب الاخلاق ،  
ميمون الطلعة ، مأمون العشرة » مترفعاً في اقواله وافعاله ، نفوراً بأهله ونفسه .

ومن لطائفه : انه كان حاضراً في مجلس بعض الوزراء ، فأخبره بعض الحاضرين :  
ان القاضي فلان ممتحن بزوجه ، وبالأمس اقتتلا فأذته . فقال البصير على الفور « ياليتها  
كانت القاضية » .

وذكروا عنه أنه كان يفرق الدراهم المزيفة عن غيرها بمجرد لمسها ، وأنه كان مولعاً بتطهير الحمام ، وكان يصطاد الحمام الغريب الذي يدخل بين حمامه ، فسألوه من أين تعرف الحمامة الغريبة من بين الحمام ؟ قال : أعرفها من خفقان اجنحتها . كما أنني اذا رميت الحب للحمام ، فإن الحمام الغريب يتقدم اليه بتخوف وحذر ، فأصغي اليه وبعد أن أتأكد موضعه ، أرمي اليه شبكة واصطاده بها .

وله ثلاث ارجوزات ، يصف بها حصار نادر شاه لمدينة الموصل وارتداده عنها يجر اذيال الفشل .

١ - أما أحداها : فقد ذكر المحي ثمانية أبيات منها ، ولم نعثر على الأرجوزة كلها . وما ذكره المحي هو :

عدو لهم من جانب الشرق ناهض	كفى الله أهل الموصل الشر اذا أتى
ظلم غشوم للموائيق ناقض	أجل ملوك العجم نادر اسمه
بظلم ، وكل في المهالك خائض	سبي نسوة السكان في البيدوالقري
فما في الصباح اليوم بكر وفارض	وساق أنواعيم الرساتيق كلها
حروباً ، وفي الجمعات ماتت فرائض	فحاصرنا ستين يوماً مهيجاً
حسين بعون الله ، وهو يناهض	فخاربه الدستور والي ديارنا
فباتوا وكل نحو مشواه راكض	فألقي رعباً في قلوب جنوده
بتوفيقه أرخت : زال الروافض	فلما ازال الله عنا شعوبهم

٢ - الارجوزة الثانية نظمها باللغة التركية ، ورفعها الى الحاج حسين باشا الجليلي - والي الموصل - ولم تقف على ذكر لها .

٣ - والارجوزة الثالثة : وهي تتألف من ٦٩ بيتاً أرسلها من الموصل الى السيد عبد الله الفخري في بغداد - يصف بها هذا الحادث ، وهي التي سنشرها .

ارجموزة السير قليل البصير

الحمد لله السلام المؤمن  
وهو الذي ايدنا بنصره  
ثم الصلاة والسلام الدائم  
مؤيد الحق نبي الملحمة  
وهو الذي اباد جيش الكفر  
والآل والصحب الذين جاهدوا  
ما اسرج الدم وجال الغر

وبعد فالانمي من السلام  
الفاضل المحقق العلامة  
اخى ومؤنسي بلا اشتياه  
لا زال خافضاً أولى الضلال  
يامن هداه الله للفواضل  
وحفّه بالرشد والكياسة  
كيف طباعكم؟ وما حالاتكم؟  
اني الى وصالكم مشتاق  
بحيث لو قسم عرض الشعرة  
والله اسأل الملائقة التي  
يهدى الى ابن سيد الانام  
والكامل المدقق الفهامة  
السيد النحرير عبد الله (١)  
بنصبه الويسة الكمال  
وخصه بالعلم والفضائل  
والفهم والفتنة والفراسة  
باي شيء ينقضي اوقاتكم؟  
انحلني الفراق والاشواق  
عشرة اقسام حكته دقتي  
يشفي من الغرام كل علتى

(١) تقدم الكلام عنه في الحاشية رقم (١٦) .

فان تجيزوا الفحص عن حال البلد  
فالحمد لله معين الضعفا  
على انكشاف الضر والآلام  
اذ دخلوا القرى وافسدوها  
واتهكوا الشبان والفتيانا  
وغادروا الشيوخ والاطفالا

وما من الشدة والضيق وجد  
مفرج الكرب ، معجل الشفا  
وصون عرضنا من الاعجام  
آذوا ، ومزقوا ، وشردوها  
واستأسروا النسوان والصبيانا  
وحملوا الاحمال والاثقالا

ثم توجهوا ليحصرونا  
جاؤا « كأنهم جراد منتشر » (١)  
أخبرنا مفتيهم (٢) ان الفئة  
وإعما تميز ذي الأعداد  
ذنوا فامطروا علينا ناراً  
واصبعا كل من الخلائق  
فبان بيننا سماة القحط  
وكلنا يرتقب القتال  
« يا أيها الذين آمنوا أصبروا

ويستفزوننا ويكسرونا  
مخاصروا « في يوم نحس مستمر » (٢)  
خمس وسبعون تليها مئة  
الف بلا نقص ولا ازدياد  
لم يهجعوا ليلاً ولا نهاراً  
في أذنيه ، حذر الصواعق  
حتى حُرِّمْنَا شرب ماء الشط  
ممتلاً بقوله تعالى  
وصابروا وربطوا (٤) « لتنصروا

سطى خميسهم علينا الجمعة

في نصف شعبان بفرط المنعه

(١) سورة القمر : آية : ٧ .

(٢) سورة القمر : آية : ١٩ .

(٣) ملا باشي علي أكبر : تقدم الكلام عنه في الحاشية رقم ( ٤ ) .

(٤) سورة آل عمران : آية : ٢٠٠ .

تُخَادِعُونَا خِدْعًا لَمْ تَكْتُم  
فَضَرَهُمْ مَا صَنَعُوا مِنَ الْقَسَمِ  
وَكَلَّ سُلَّمٌ رَفِيعٌ نَصَبًا  
خَفْنَا احتيالهم وسوء مكرهم  
فَقَارِبَ السُّورِ الْمُبَارِزُونَ  
لَمَّا رَأَوْنَا حَافِظِينَ السُّورَا  
وَالْجَهْدَ فِي كِفَاحِهِمْ بَدَلْنَا  
فَأَصْبَحُوا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَسْرَ

كجفر الغام ، ونصب السُّلَّمِ  
إِذْ رَدَّهُ اللهُ عَلَيْهِمْ فَقَصَمَ  
مُجْرًا إِلَى السُّورِ وَمِنْهُمْ سُلْبًا  
فَلَمْ يَحِقْ مَكْرُهُمْ إِلَّا بِهِمْ  
وَأَنَّهُمْ لَنَا لِفَائِظُونَ  
« وَتَوَّأ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نَفُورًا » (١)  
مَا قَتَلُوا مَعْشَارَ مَا قَتَلْنَا  
« كَانَتْهُمْ اعْجَازُ نَحْلِ مُنْقَعِيرٍ » (٢)

لَمَّا أُرِيقَتْ مِنْهُمْ حَمْرُ الدِّمَا  
فَأَرْسَلَ الْغَادِرَ سُلْطَانَ الْعَجْمِ  
وَكَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارَ الْحَرْبِ  
فَصَالِحَ الْمَوْلَى أَمِيرَ الْمُوَصَّلِ  
بِالسَّنِ الرَّسْلِ عَلَى أَنْ يَرْسِلَا

ببيضنا القوا الينا السلما  
يحاول الصلح ويبتغي السلم  
أظفأها الله بغيث الغيب  
أعنى حسيناً صاحب القدر العليّ  
من خيله اليه عشراً كُملاً (٣)

(١) سورة الاسراء : آية : ٤٥ .

(٢) سورة القمر : آية : ٢٠ .

(٣) كان الوفد الذي خرج الى نادرشاه لفاوضته مؤلفاً من قره مصطفي بك — محافظ الموصل — وعلي الغلامي مقتي الشانمية في الموصل ، وقاضي الموصل . فأكرمهم نادرشاه وأثنى على شجاعة أهل البلد ، ثم زاروا ملا باشي في خيمته ، فخرج لاستقبالهم ، ورحب بهم ، وأثنى أيضاً على بسالة المواصل . وذكر صاحب منهل الأولياء عن سبب تقديم الخيل الى نادرشاه ما يأتي : ان ملا باشي قال للوفد « قد سمع سلطانتنا بان عند الوزيرين المشار اليهما يوجد خيل ممدوحة ، وكثير يؤمل ارسال كم حصان من حضراتهما الى حضرة الشاه بطريق الهدية . اما السفراء المرتومين فذهبوا من كلامه ان مراده من طلب الخيل ، ان يفخر على عساكره ، وان لا يصير له خجل بطلب المصالحة ، وثاني يوم رجع السفراء الى البلد ، وقدموا السلام بين يدي الوزيرين وأرسل كل واحد منها ثمانية من الخيل الممتازة » وأرسلت الخيل مع الحاج قاسم آغا الجليلي ابن عم الحاج حسين باشا الجليلي ، فأكرمه نادرشاه . وأرسل معه هدايا الى الحاج حسين باشا الجليلي ، وحسين باشا القازوقجي .

فجاد والينا بضعف ما طلب  
فكفا عنا أيدي الأعداء  
بقوة الله وأنبيائه

ومثله تحف حاكم حلب  
محافظة الحدياء والشهباء  
وأوليائه وأصفياؤه

لكن تجلد الوزير الموصل<sup>(٢)</sup>  
تبيانه أكثر من أن يذكر  
إذ لم ترعه كثرة القبائل  
« لا أقعد الجبن عن الهيجاء  
الحمد لله الذي عززنا  
قلت له في هذه القضية  
وفصل الواقعة بالوجه الحسن  
أحاط بالخطوب علماً وكتب  
فاستحسن الصدر محسناتها  
لأنها فائقة المباني

الباسل الشهم الشجيع المقبل  
لله دره حرياً أجسراً  
منهم تأسياً بقول القائل  
ولو توالت زمر الأعداء  
به وقد أذهب عنا الحزنا  
قصيدة جيدة تركية<sup>(١)</sup>  
ابن أخي المرحوم داعيكم حسن<sup>(٣)</sup>  
أتحفها الى الوزير المنتخب  
وما قد استشهد من أبياتها  
رائقة الألفاظ والمعاني

أما الشقي الخارجي نادر  
فكان يبدي الود والمخادنة

المعتدي الباغي الظلوم الغادر  
بعد انعقاد الصلح والمهادنة

(١) هو الحاج حسين باشا الجليلي وقد تقدم الكلام عنه .

(٢) لم نقف على ذكر لهذه القصيدة التركية .

(٣) ترجم له صاحب منهل الاولياء : انه أخذ عن علماء الموصل ، ورحل الى القسطنطينية ، واتيس

علوماً شتى ، وولي منصب الانتاء بعد ابن عمه عبد الله بن نجر الدين ، وله شعر حسن توفي سنة ١٢٠٢ هـ

النظر ( تاريخ الموصل : ٢ : ٢١٩ - ٢٢٠ ) وقد نقل الترجمة عن المنهل مع بعض التصرف .

من صوب والينا على أن يرحلا  
في السور حاضرونا حاذرونا  
بطشته مخافة المعاودة  
ثم نوى النهضة والقيام  
فأصبح النادر كالمعدوم  
فانطلقوا وهم يسارعونا  
« وكل شيء فعلوه في الدُّبر » (١)

على النجاة واندفاع الشر  
جد الذين حوصروا في كربلا (٢)  
إلى الهدى وصحبه الغزاة  
وأمتدت الهدنة والمسألة

سعيد الدبويه

معهداً شخصاً إليه أرسلنا  
ونحن طائفون عاكفونا  
إذ لم نكن نأمن بالمعاهدة  
أقام في ديارنا أياماً  
ففر مع عسكره المشؤم  
وخاب الأعجمون أجمعونا  
صالوا فصالحوا « فولوا الدُّبر »

هذا والله جزيل الشكر  
ثم من الصلاة ازيها على  
محمد وآله الدعابة  
ما أشتدت الفتنة والمخاصمة

(١) سورة القمر : ٥٢ .

(٢) هو الامام الحسين بن الامام علي بن أبي طالب — رضي الله عنهما — .